القصة القرآنية في الفكر الحداثي (محمد أركون أنموذجاً)
عرض ونقد

م.م. حنان مجيد عبد العبود / جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الانسانية
Hanan.majeed@uobasrah.edu.iq

الملخص:

يعد الاسلوب القصصي احد وسائل القرآن في ايصال رسالته فهو تعبير صادق قائم على الواقعية ويسعى البحث للوقوف على القصص القرآني، وأنواعه، وخصائصه، والقصة القرآنية عند الحداثيين، والشبهات التي أثارها محمد اركون حول القصة القرآنية، بأنها أساطير، وأنها مقتبسة من التراث اليهودي والمسيحي ودعوته لتطبيق مناهج النقد الحديث كالمنهج اللساني والسيميائي والتاريخي وقد ناقش البحث هذه الدعوة وبين بالأدلة عدم تلاؤمها مع النص القرآني .

الكلمات المفتاحية : (القصة ، الحداثة، محمد أركون).

The Quranic story in modern thought (Mohamed Arkoun as a model) Presentation and criticism

assistant teacher: Hanan Majeed Abdel-Aboud/ University of Basra / College of Education for Humanities

Abstract:

The narrative style is one of the means of the Qur’an in conveying its message, as it is an honest expression based on realism, and the Qur’anic story includes the basic artistic elements of personality, dialogue, events, and subject.

The research seeks to identify the Qur’anic stories, its types, its characteristics, the Qur’anic story among modernists, and the suspicions raised by Muhammad Arkoun about the Qur’anic story, that it is myths, and that it is derived from the Jewish and Christian heritage and his call for the application of modern criticism approaches such as the linguistic, semiotic and historical approach. The research discussed this call and demonstrated the evidence Not compatible with the Quranic text.

Keywords: (story, modernity, Mohamed Arkoun).

المقدمة:

لا يزال القرآن الكريم يقدم للباحثين مائدة معرفية تدور حولها أبحاثهم بهدف فهم النص القرآني؛ لأن القرآن الكريم نص لغويّ محوريّ. وإذا قامت أمة على نص، فلا بد من أن تتأوله حتى يستوعب المتغيرات، لذا تعددت القراءات التأويلية بتعدد المناهج المستخدمة، إلا أن الآونة الأخيرة ظهرت فيها دعوات لضرورة قراءة النص القرآني قراءة جديدة قائمة على القطيعة بينها وبين القراءات التراثية؛ لعرض الإسلام بصورة تتسم بالطابع الروحي، بعيداً عن القراءة التي هي على رأي مدعيها من صنيعة الفقهاء، فالقرآن الكريم نص زاخر بالمجازات تستطيع أن تحمله على ما تشاء، إلا أن الفقهاء حولوه إلى قوالب جامدة تُستمد منها أحكام فقهية لتسيير أمور المجتمع، وبغية الوصول لذلك الفهم الجديد اعتمدوا المناهج الغربية، القائمة على النقد والتقييم للتوراة والإنجيل في تاريخ كتابتهما، ونزع هالة القداسة عنهما، وادعوا ضرورة اتخاذ المناهج الغربية لفهم النص القرآني؛ بسبب وجود التشابه بينهما من ناحية التكوين التاريخي، والبنية الأسطورية. ومن أبرز هؤلاء محمد أركون، إذ يرى أن القرآن شأنه في ذلك شأن المجامع النصرانية في تاريخ تشكيله؛ لأن الإجماع عليه كنص قرآني واحد، لم يحدث إلا في القرن الرابع الهجري، كما أن القرآن أسطوري البنية، ولأنه يصعب بسط الكلام حول هذه القراءة في هذا البحث المختصر، وجهت نظري لدراسة موقفه من القصة القرآنية، فترشح أن يكون عنوان البحث **القصة القرآنية في الفكر الحداثي (محمد اركون أنموذجاً)**

إشكالية الدراسة:

تكمن إشكالية البحث في السؤال الرئيس له: ما القصة القرآنية في الفكر الحداثي؟ وتنبثق منه عدة تساؤلات فرعية:

ما القصة القرآنية في المنظور الاسلامي وما علاقتها بالأسطورة؟

كيف نظر أركون إلى القصة القرآنية؟ وما الشبهات التي أثارها حولها؟

هل يمكن تطبيق مناهج النقد الحديث كالمنهج اللساني والسيميائي والتاريخي على القرآن الكريم بوجه عام والقصص القرآني بوجه خاص؟ وان كان ذلك ممكناً، فكيف طبق محمد أركون هذه المناهج على القصة القرآنية؟

وللوصول إلى ذلك قمت بتوظيف المنهج الاستقرائي، بعرض الأفكار المطروحة والمنطلقات التي انطلقوا منها حول القصة القرآنية، كما وظفت المنهج النقدي لنقد تلك الأطروحات ومناقشتها في ضوء نصوص الكتاب والسنة ومقاصد الإسلام ومعطيات العقل السليم.

أهداف الدراسة :

– بيان أن القصة القرآنية جزء من القرآن الكريم المُنزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكر خصائصها ومفارقتها لما يسمى بالأسطورة.

– بيان نظر أركون في القصة القرآنية وردَّ الشبهات التي أثارها حول القصة القرآنية.

– بيان عدم صلاحية مناهج النقد الحديث في دراسة القرآن الكريم.

– إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة متخصصة تناقش ادعاءات الحداثيين حول القصة القرآنية والرد عليهم بأسلوب علمي مقنع.

أهمية الدراسة:

الدفاع عن القرآن الكريم وما يتعرض له من تأويلات وتحريفات معاصرة من الحداثيين، ومناقشتهم فيما ذهبوا إليه، حتى لا تغتر بهم العامة، وكشف زيف آراء بعض المفكرين، وبيان خطورة ما ذهبوا إليه من تحريف القصص القرآني.

الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة كتابات الباحثين حول الدراسات الحداثية، وتنوع هذه الكتابات، إلا أني – حسب اطلاعي– لم أجد بحثاً متخصصاً أفرد موضوع القصة القرآنية عند الحداثيين واتخاذ محمد أركون أنموذجاً.

وفيما يأتي بعض الدراسات حول هذا الموضوع:

١– الأثر الاستشراقي في موقف محمد بن أركون من القرآن الكريم، بحث مختصر للباحث، محمد سعيد السرحاني، وهذه الدراسة خاصة بالأثر الاستشراقي فقط.

٢–الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم للجيلاني، رسالة دكتوراه، احتوت على ستة فصول، خصص الفصل الرابع فيها عن الملامح العامة لمنهج الحداثيّين في فهم القرآن الكريم، وتحدث فيها عن المنهج الأسطوري، وقول بعضهم بالمادية التاريخية الماركسية.

التمهيد:

إن من اساسيات فهم أي موضوع التعريف بمصطلحاته، لذا سنتعرض لتوضيح المصطلحات الواردة في عنوان البحث للدخول في الموضوع.

القصة لغة واصطلاحاً :

القصة في اللغة: دارت معاني (قص) في المعجمات حول التتبع والبيان والرواية على الأصل

والقِصص بكسر القاف جمع القِصّة التي تكتب، والقصة الأمر، والحديث واقتصصت الحديث رويته على وجهه، وقص عليه الخبر قصصاً... ويقال: قصصت الرؤيا على فلان إذا أخبرته بها أقصها قَصاً، والقص البيان، والقَصص: (بالفتح) الاسم، القاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها[١].

القصة في اللغة الاخبار المتتبعة[٢].

ومن العلماء من فرق بين القصة في القرآن، والقصة في غير القرآن؛ فالقصة في القرآن مشتقة من القَصص، وأما في غير القرآن فهي مشتقة من القِصص، بكسر القاف، وقالوا في الفرق بينهما: الفرق بين القصص بالفتح والكسر فالقصة بالكسر، جمع قِصة تقول فلان يكتب القِصص.. وأما القَصَص فهو الأخبار والروايات التي يتتبعها القاص ويرويها[٣].

إذاً القصة في اللغة هي الأخبار المتتبعة والكشف والتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو أغفلوا عنها.

القصة اصطلاحا: تعددت أقوال العلماء في تعريف القصة وهي بمجموعها لا تخرج عن المعنى اللغوي:

عرفها ابن جزي في تفسيره بأنها: " ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف وذي القرنين" [٤].

وأبان الإمام الفخر الرازي معنى القصص في القرآن الكريم، فقال : "الْقَصَصُ إِتْبَاعُ الْخَبَرِ بَعْضُهُ بَعْضًا"[٥].

إذاً مفهوم القصة في الاصطلاح لا يبتعد عن أصلها اللغوي، إذ القصة في المنظور الإسلامي هي ذكر أخبار الأنبياء وما كان يقع في محيطهم من صراع وتصحيح الحقائق المحرفة.

الحداثة لغة واصطلاحاً:

الحداثة في اللغة: مشتقَّة من مادة (ح د ث)، وفي اللغة يُقال: حَدَثَ الشيء يحدث حُدوثاً وحَداثَةً نقيض قدُم والحديث نقيض القديم وحِدْثانُ الأَمْرِ، بالكسر: أَوَّلُهُ وابْتِداؤُه[٦].

قال ابن فارس: "الْحَاءُ وَالدَّالُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ كَوْنُ الشَّيْءِ لَمْ يَكُنْ. يُقَالُ حَدَثَ أَمْرٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ وَالْحَدِيثُ مِنْ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ يَحْدُثُ مِنْهُ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ"[٧]

إذاً مادة حدث في اللغة إمّا أن تكون نقيض القديم أو تكون ما تولد من العدم أي ما كان وليد اللحظة ولا يعتمد على القديم.

الحداثة اصطلاحاً: "هي حركة فكرية لها توجهات دينية وسياسية واجتماعية وفلسفية وأدبية تحمل صفة التجديد والتطوير للمفاهيم والقوالب القديمة، رغم أن عدداً من روادها درس في مدارس غربية وأخرى استشراقية إلا أنها أخذت تلامس قضايا لها علاقة بالثوابت الدينية، مما أدخلها في إشكالية الجدل والخصومة مع كثير من رجال الدين والباحثين في القضايا الدينية"(٨).

"والحداثة في المجال الثقافي والفكري التاريخي امتداد طبيعي للقلق الأوروبي، لاضطراب أفكاره ومبادئه، وفلسفاته وآدابه التي ابتدأت من عصر الظلمات، كل مدرسة تنعي سابقتها، ثم جاءت (الحداثة) لترفض كل قديم، وكل حاضر، وتفلت العنان في بيداء واسعة، دون ركائز من تاريخ وعقيدة.

يمم الحداثيون العرب وجوههم شطر الحضارة الغربية، وجعلوها قبلة لهم، بعد أن بهرتهم. يقول طه حسين عن النهضة: "إنما هي واضحة بينة مستقيمة لا عوج فيها ولا التواء، وهي واحدة فذة، ليس لها تعدد، وهي أن نسير سير الأوربيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يُكره، وما يحمد منها وما يُعاب، ومن زعم غير ذلك فهو خادع أو مخدوع"(٩).

فانطلقوا –في تصورهم لتحقيق الحداثة– بمقاطعة معرفيَّة مع الماضي واحتقار التراث، وضرْب ثوابت الأمة الإسلامية، ووضع النصوص الدينية في محك النظر والنقد والتفكيك، وغير ذلك من مناهج النقد المستمدة من اللسانيات المعاصرة.

المبحث الأول

القصة القرآنية في الفكر الاسلامي

يعدّ الأسلوب القصصي أحد أهم وسائل القرآن الكريم في إيصال رسالته، فسيقت القصة لتقرر أهدافاً كثيرة وغايات متعددة، فالقصة القرآنية ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه، فهي لم تأتِ للتحدث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم، وإنما جاءت لتحقق أغراضاً دينية من موعظة وإرشاد واعتبار، وإن البنية القصصية في القرآن الكريم لا يمكن تصنيفها ضمن الأجناس الأدبية؛ لأنَّ القرآن الكريم نص متفرد، له خصوصيته اللغوية والخطابية التي منحتها طبيعة النص ذاته، فهو صادر عن الغيب، فلا يتحدد عمله أو أثره في توجيه الحياة المعاصرة لنزوله بل يمتد الى الإنسانية بأجمعها، فلا يمتلك القرآن من خصائص بيئته الأولى إلا الظواهر اللغوية؛ لأنه نزل بلغة العرب فكان مصدراً للمعارف والدراسات اللغوية التي تأسست منه ولأجله، ولمَّا كان كذلك فلا يمكن أن نُصنِّفه أدبياً ضمن الأشكال الأدبية؛ لذا من الخطأ المنهجي والعلمي أن نتعامل مع القرآن تعاملنا مع المصطلحات الأدبية من تطبيق المناهج النقدية الحديثة عليه، فالقصة القرآنية ليست عملاً فنياً في موضوعه وسير أحداثه، كما الحال في القصص الفني؛ لأن القرآن كتاب تشريع وعقيدة، كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، فهو دستور لحياة البشرية في مختلف علاقاتها الروحية والجسدية الفردية والجماعية؛ ولأنَّ القرآن الكريم جارى أساليب العرب في تعبيراتهم، ولعل هذا هو الذي دفع بعض الحداثويين للقول بأسطورية الخطاب القرآني، لذا قسموا القصص على ثلاثة أنواع رئيسة: تاريخية، وتمثيلية، وأسطورية. أما التاريخية فيراد بها القصص التي يرى فيها المفسرون أنها تنقل أحداثًا تاريخية، والتمثيلية تدخل في باب الفن الأدبي، ولا يلزم في الأحداث التي تنقلها قد وقعت فعلاً، ولا يلزم في الأشخاص أنهم وجدوا وأن الحوار قد صدر فعلاً، وإنما يكتفى في جميع ذلك بالفرض والخيال نظير قوله تعالى في عرض الأمانة على السماوات. أما الاسطورية فهي غير الحقيقية باعتبار أن القران يحكي عقائد القوم الصحيحة وغير الصحيحة[١٠]، أما علماء المسلمين فكان تقسيهم نابع من الشكل والمضمون اما الشكل فقسموها الى قصص طويلة وقصيرة واما المضمون فقسموها الى قصص انبياء وتاريخ واحداث.

اولا: أنواع القصص القرآني وخصائصه :

يختلف القصص القرآني من حيث الشكل والمضمون فمن حيث الشكل ينقسم على قسمين :

١- **القصة الطويلة:** هي قصة تتجمع في موضوع واحد، مثل: قصة إبراهيم (عليه السلام)، أو تذكر مرة واحدة، مثل: قصة يوسف (عليه السلام). والقصة الطويلة، كما نجد في قصة موسى (عليه السلام) وبني إسرائيل، وقصة يوسف (عليه السلام)، وفي كثير في سور القرآن الكريم.

٢- **القصة القصيرة:** وتحتوي على بعض عناصر القصة، مثل: قصة النمل وقصة الهدهد، أو مشتملة على كل عناصر القصة إلا أنها قصة قصيرة، وكذلك قصص بعض الأنبياء، مثل: قصة إدريس وأيوب وشعيب (عليهم السلام)[١١].

وأما من حيث المضمون فيمكن تقسيم القصص القرآني على ثلاثة أقسام:

١- **قصص أنبياء:** وقد تتضمن هذه القصص دعوات الأنبياء لأقومهم، والمعجزات التي أيدهم الله تعالى بها، وموقف المعاندين منهم، وعاقبة المؤمنين والمكذبين، مثل: قصة إبراهيم (عليه السلام)، وقصة موسى وهارون (عليهما السلام)، وقصة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

٢- **قصص التاريخ:** إن القصص القرآني يتحدث عن التاريخ الماضي كذلك يتحدث القرآن عن الأشخاص لم تثبت ثبوتهم، ومن ذلك قصة الذين أخرجوا من ديارهم وهو ألوف حذر الموت، وطالوت وجالوت، وابني آدم وقصة أهل الكهف، قصة ذي القرنين وقصة قارون وأصحاب السبت، وقصة مريم وأصحاب الخلود وأصحاب الفيل وما إلى ذلك.

٣- **قصص الأحداث:** هذا نوع من القصص القرآني يتعلق بالحوادث التي وقعت في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في سورة التوبة والهجرة والإسراء والمعراج وما إلى ذلك [١٢]

والنوع الأخير كان موضع جدل بين العلماء، إذ قالوا هذا النوع لا يمكن أن نعده من القصص بل هو من أسباب النزول[١٣]، وقد استدلوا بحديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لإصحابه عن القرآن قال: "فيه نبأ من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبر ما بعدكم"[١٤]

والراجح أن النوع الثالث ليس من القصص؛ لأنّ مصطلح القصة يُطلَق على ما حدث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال.

ثانيا: خصائص القصص القرآني

امتازت القصة القرآنية بكثير من الخصائص، لذا انبرت أقلام المفسرين في إبراز تلك المزايا، فقد نُسِجَ نظمها على أسلوب الإيجاز؛ ليكون شبهها بالتذكير أقوى من شبهها بالقصص، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾[١٥] فحكيت المقالة في موضع تذكير أصحابه ولم تحك أثناء قوله: ﴿أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[١٦]. فالقصص القرآني لم يُسَقْ مساق الاحماض[١٧] وتجديد النشاط ويحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر، ولوكان كذلك لساوى كثير من قصص الأخبار الصادقة، ولما كان جديراً بالتفضيل على كل جنس القصص، وإسراع يوسف ليقطع عليها ما توسمه فيها من المكر به، لتري سيدها أنه أراد بها سوءاً، فدلَّ على ذلك ما بعده من قول: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١٨]. كما ان القصة سيقت في مظان الاتعاظ بها مع الحفاظ على الغرض الاصلي الذي جاء به القرآن من تشريع وتفريع، لذا ركَّزت القصة على الأحداث، ولم تهتم كثيراً بالأشخاص بخلاف القصص التاريخي، وركَّزت على بيان عقيدة التوحيد والبرهان عليها بأسلوب قصصي معجز. ففي سياق القصة تأتي الدلائل الواضحة على وحدانية الله وإرادته، كما أنها امتازت بالواقعية، فالأحداث التي ذُكِرت لها واقعها، والشخصيات التي دارت حولها القصة لها وجود، بخلاف القصص البشري

التي تكون من نسج خيال مؤلفها. ولعل هذه الخصيصة كانت موضعاً لإثارة الجدل –لاسيما في الوقت الحاضر– لدى الباحثين في الدراسات القرآنية باستخدام المناهج الحديثة وقد نتج عن هذا الجدل قولهم بان القرآن احتوى على الأساطير وأن الشخوص التي ذكرها لا وجود لها، على الرغم من أن تفسيرهم لمفهوم الاسطورة مخالف لما جاءت به المعجمات اللغوية، فلا يقصد منها الخرافة، وإنما يراد بها عرض فكرة أو تعاليم مجردة بصورة مجازية أو شعرية، أي لا يقصد من الأسطورة الاكاذيب والخرافات، وإنما يراد بها التركيز على الجانب النفسي أو الخيالي الذي يميل الى المبالغة في حياة الأفراد والجماعات؛ لأنَّ الأسطورة عند شعب من الشعوب تكشف عن العادات والأخلاقيات السائدة فيه، إلا أنهم عند تحليلهم للنص القرآني يذهبون إلى غير ذلك ويفسرونه بالمعنى اللغوي للأسطورة، وأنه لا علاقة لها بالواقع التاريخي الحقيقي متذرعين بعلم الآثار للاستدلال على صحة ما ذهبوا إليه(١٩).

ويمكن أن يجاب عن هذه الشبهة بأنَّهُ ليس كل ما لم يستطع الإنسان إثباته هو غير موجود، فلعل علم الآثار لم يتوصل الى ذلك. كما امتازت القصة القرآنية ببعدها عن إثارة الشهوة والغريزة، بخلاف ما اعتمدت عليه القصص الإنسانية(٢٠). وتميزت بتصحيحها للتحريف الذي أصاب الديانات السابقة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(٢١)، فالكتاب العزيز بما أنه مصدق لما ورد فيما سبقه من الكتب ومسيطر عليها، فهو يقص ما ورد فيها بنهج صحيح، ويميّز الحق مما هو لصيق بها من الزيادات وما وقع فيها من التحريف(٢٢). ولعل هذه الخصيصة ولَّدت لدى الدراسات الحداثية شبهة التناص، وذلك باعتماد القرآن على ما ذكر في التوراة والإنجيل. وهذا في المفهوم الاسلامي يدل على وحدة مصدر الديانات ، مما يؤكد عدم صلاحية المناهج الغربية لدراسة القرآن الكريم.

كما امتاز القصص القرآني بمسألة التكرار، التي كانت أيضا مثار جدل من قبل المستشرقين للحطِّ من منزلة الكتاب العزيز، فقد تُكرَّر القصة الواحدة في القرآن الكريم في مواضع شتى، وهذا التكرار له أهميته ومناسباته، فالقصة لا تتكرر بأكملها ولا تعاد بالألفاظ نفسها في كل موضع تذكر فيه، وإنما هو تكرار لبعض الحلقات، وهى مناسبة تماماً للسياق الذي وردت فيه. كمعجزات النبي موسى (عليه السلام) الخارقة لعادةٍ، مثل: تحول العصا في يده إلى ثعبان، وتَفجُّر الماء من الصخرة، وفرق البحر كالطود العظيم بضرب العصا، وغير ذلك. فكلما نقرأ قصة النبي موسى في القرآن الكريم نصل إلى نتيجة مفادها أنَّهُ ليس في قصص القرآن الكريم تكرار مطلق، بل هو تكرار نسبي، بمعنى أن الغرض الديني هو الذي يستدعي إعادة القصة، ولكن هذه الإعادة تلبس أسلوباً جديداً وتخرج إخراجاً جديدا يناسب السياق الذي وردت فيه، وتسعى إلى هدف خاص لم يذكر في موضعٍ غيره، كأننا أمام قصة جديدة لم نسمع مثلها من قبل، فتكرارها لغرض خاص في كل موضع، فتعرض بالقدر الذى يكفي لأداء هذا الغرض[٢٣].

المبحث الثاني

القصة القرآنية في الفكر الحداثي

حاول بعض المفكرين المعاصرين من رواد الفكر الحداثي تطبيق المنهج التاريخي في دراسة القصص القرآني، متأثرين بنظريات الفلسفة الغربية التي ظهرت في القرن التاسع عشر وأعلنت الحرب على كل ما هو ميتافيزيقي أو غيبي ورفعت القدسية على كل شيء. ومن هذه النظريات: "الهيرمينوطيقا " التي من معانيها البحث عن الصحة التاريخية للنص المقدس عن طريق النقد التاريخي، وفهم النص عن طريق المبادئ اللغوية[٢٤]. يقول أركون: "وذلك بإخضاع النص القرآني وكل النصوص الأخرى التي حاولت طوال تاريخ الفكر الإسلامي توضيحه، لفحص نقدى يختص بإجلاء الالتباسات، وإبراز الأخطاء والتحريفات" [٢٥]

ومن أبرز هؤلاء الحداثيين محمد عابد الجابري، ومحمد شحرور، ومحمد أركون. وسنعرض موقف محمد اركون من القصة القرآنية.

اولا :التعريف بـ(محمد أركون):

ولد محمد أركون في تاوريت ميمون في منطقة القبائل الكبرى في الجزائر عام ١٩٢٨م، من عائلة بربرية، دخل المدرسة الابتدائية، لكنه غادر هذه المنطقة في سن التاسعة ليلتحق بأبيه الذي كان يملك دكاناً للبضائع في منطقة عين العرب (قرية يكثر فيها الفرنسيون بالقرب من مدينة وهران، ولغته الأصلية الأمازيغية ثم تعلم العربية والفرنسية، وتأثر بخاله المنتمي لإحدى طرق الصوفية، وكان يحضر مع خاله مجالس الصوفية في تلك القرية وقد أتم تعليمه الثانوي في مدرسة مسيحية عام ١٩٤٥م، بعد ذلك دخل الجامعة لدراسة الأدب العربي في جامعة العاصمة الجزائرية ما بين ١٩٥٠-١٩٥٤م، ودخل جامعة السوربون الأول من نوفمبر عام ١٩٥٤م.

والمتأمل في هذه النبذة الموجزة لحياة محمد أركون، يجد أن الحياة الاجتماعية وتكوينه العلمي كان لهما الأثر الواضح في تكوين خلفيته الفكرية، فقد درس المرحلة الثانوية في مدرسة مسيحية ، وحضر الحلقات الصوفية، ودرس في السوربون على عدد من المستشرقين الفرنسيين، وكان له اهتمام واضح بالفكر الباطني[٢٦]. وقبل أن نبين موقفه من القصة القرآنية التي يشوبها الكثير من الاضطراب والغموض، فهو لا يصرح بما يصرح به العديد من المستشرقين في نفيهم المصدر الإلهي للقرآن الكريم، ومع ذلك يبقى موقفه في الطعن غير المباشر في مصداقية الوحي هو الأخطر؛ لما فيه من التلبيس والتدليس على عموم القراء من المسلمين. لذا سنعرض موقفه من كتاب الله عامة ومن القصص خاصة.

ثانيا: موقف أركون من القرآن الكريم

من المسائل التي أسس لها أركون عند قراءته هي ضرورة التفريق بين النص والخطاب الديني،

فهناك اختلاف بين الحالة الشفهية التي ضاعت إلى الأبد، وبين الحالة الكتابية للنص، وإن القرآن تعرض للتحريف أثناء انتقاله من المرحلة الشفهية إلى المرحلة النصية، بفعل التدمير المنظم الذي تعرض له النص القرآني –كما يوضح ذلك هاشم صالح :– اننا لم نر النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يلفظ الآيات القرآنية لأول مرة أمام الصحابة، ولن نعرف كيف يلفظها وضمن أي ظروف؛ لأنه لم توجد آنذاك كاميرا... لذا فالقيمة المعرفية في الخطاب الشفهي تختلف عن القيمة المعرفية للنص المدون لاسيما أن التدوين مر بظروف سياسية شديدة الاضطراب كما أن الكثير من الوثائق والنسخ دمرت بصورة عمدية(٢٧).

إن ما أكده أركون نابع من توهمه في أن مراحل تَشَكُّل القرآن تشبه المراحل التي تشكل بها الكتاب المقدس، إذ يرى أن القرآن أصبح رسمياً نتيجة سلطة سياسية قوية أزاحت ودمرت جميع المصاحف وحملت الناس على مصحف واحد، بالرغم من البون الساشع بين الظروف التي تشكل بها القرآن الكريم والظروف التي تشكلت بها التوراة والانجيل، إذ لم يكن هناك فاصل زمني بين القرآن الشفهي والقرآن الكتابي، إذ كان هناك كُتّاب للوحي، وهذا أمر اجتمعت عليه كلمة المسلمين فلا يتنازع عليه اثنان. أمّا قوله بوجود فرق بين القرآن الشفهي والكتابي، يمكن أن نُسلِّم لذلك في حال كون الخطاب ينقل من اللغة العربية الى لغة مغايرة، مثل: الانكليزية، عندها نقول: إنّ هناك فارقاً كبيراً بين الثقافتين، فيحتمل أن يُحرَّف الخطاب. وأمَّا أن يُنقَل باللغة نفسها ويقال بوجود الفارق فهذا لا يقول به عاقل. وأمَّا قوله: إن كتابة القرآن تمت في ظروف سياسية شديدة الاضطراب لذلك تعرض للتحريف، فهذا أيضا مردود؛ لأنَّ المُدّة التي أشار إليها بكون القرآن أصبح وثيقة رسمية مغلقة في القرن الرابع هذا مغلوط، فالذي جمع القرآن أبو بكر بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، والجمع الذي حدث بعدها هو توحيد المصاحف، وجمع المسلمين على قراءة واحدة، وهذا الجمع تم بعد أن اجتمعت عليه كلمة الصحابة على جمع المسلمين على قراءة واحدة. أما ما ظهر من معارضة لبعض الصحابة فكان

ذلك لأسباب شخصية، وهي استبعادهم من المشاركة في عملية توحيد المصاحف، ومعارضتهم لحرق صحفهم. وأمَّا قوله بتعرض القرآن للتحريف؛ لأنَّ المكانة المعرفية للخطاب الشفهي تختلف عن المكانة المعرفية للنص؛ لأنَّ حالات الخطاب القرآني وحيثياته لم تنقل كلها بحذافيرها، فيُرَدُّ عليه بأنَّ هذا في حد ذاته لا يدل على وجود نقص في القرآن الكريم أو تحريف، وإنَّما يدل على ضياع القرائن التي نزلت في ظلها الآيات وهذا لا محذور فيه(٢٨). لذلك ساوى بين الخطاب القرآني والتوراة، ووصفه بالخطاب الأسطوري – كما يزعم – فيقول: "إن الحكايات التوراتية والخطاب القرآني هما نموذجان رائعان من نماذج التعبير الميثي (الأسطوري)"(٢٩).

ولهذه الأسباب دعا أركون إلى تطبيق منهج النقد التاريخي الذي طُبِّق على الكتاب المُقدَّس. ويقصد بالنقد التاريخي إعادة بناء المجموع الصحيح لجميع النصوص التي نزلت على محمد باسم التنزيل، ولا يقتصر في نقده إعادة النصوص بل يتطلع لمراجعات إجمالية للقراءات المختلفة المتصلة.

ثالثا: موقفه من القصص القرآني

يرى أركون أن القرآن الكريم أسطوري البنية؛ لأنه في نظره مجرد مجازات أدبية وحكايات أسطورية لا صلة لها بالواقع. إذ يقول: "إن القرآن كالأناجيل – ليس إلا مجازات عالية تتحدث عن الوضع البشري ولا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً"(٣٠). فينادي بتفكيك النص القرآني وقراءته بطريقة أدبية بحته بصفتها تعابير أدبية، إذ يقول: "إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تتلقى بصفتها تعابير أدبية، أي تعابير محورة عن مطامح ورؤى وعواطف حقيقية يمكن فقط للتحليل التاريخي والسوسيولوجي والبسيكولوجي واللغوي أن يعريها ويكشفها"(٣١). كما أنه يدعو القارئ إلى قراءة القصة القرآنية بوعي مشابه للوعي الذي تتطلبه الحكايات الأسطورية، فيقول: "تحتاج قصص الأنبياء من أجل أن تتمثل بشكل تام من قبل وعي المؤمن إلى علاقة إدراك وعي مشابهة لتلك العلاقة التي تتطلبها كل الحكايات الأسطورية من اجل التصديق بها".

كما يؤكد في قراءته التداخلية النَّصية، فهو يرى أن القصة القرآنية مقتبسة من التراث اليهودي والمسيحي، ويعلل سبب هذا التأثر فيقول: "يوجد في القرآن شيء يدعى "قصص الأنبياء" وهى تحتوى على العديد من القصص، منها تلك التي جمعها يهوديان اعتنقا الإسلام وهما وهب بن منبه وكعب الأحبار، وهذه القصص العديدة تظهر الخلفية الأسطورية التي تفسر لنا سبب نزول كل آية من آيات القرآن الكريم والآية هنا تعنى القطعة الشفهية أو ما يدعوه علماء الألسانيات بالوحدة النصية"(٣٢)

إذاً أركون يقول بما يسميه بالتداخلية النصية ويقول: "إن سورة الكهف تشكل مثالاً ساطعا على ظاهرة التداخلية النصانية الواسعة الموجودة أو الشغالة في الخطاب القرآني"(٣٣)

ويوضح هاشم صالح مراده من التداخلية النصانية فيقول : "الترجمة العربية للمصطلح الفرنسي intertextualite، أو بالأحرى هي الترجمة التداخلية النصّانية هي التي اخترناها نحن وهي تعني أن نصاً ما – كالنص القرآني مثلاً – قد يتأثر بالعديد من النصوص السابقة له كالنص التوراتي والنصّ الإنجيلي، بل وحتى ما قبل التوراة والإنجيل. وهكذا تتداخل هذه النصوص –أو مقاطع منها– مع النص القرآني، ويستوعبها هذا الأخير حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ منه. وهذا لا وهذا لا يعني التقليد كما يتوهم، بعضهم، وإنما يعني التفاعل والاستيعاب والدمج المبدع الخلاق، ففي سورة الكهف ثلاث قصص: قصة أهل الكهف المسيحية، وملحمة غلغاميش الآشورية، ورواية الإسكندر الكبير، وهكذا نجد ثلاث مرجعيات ثقافية قديمة متداخلة مع النص القرآني أو موظفة فيه"(٣٤).

أما قوله: إنّ القرآن اسطوري البنية فقد بين أركون أن مراده من الأسطورة مغاير لمعناها القديم، فهي ليست الخرافة أو الأوهام، وإنما هي تقديم تصور ما عن حدث أو شخصية كان لها وجود مادي حقيقي، لكن يتدخل الخيال الشعبي والتراث في تضخيم هذا الحدث والشخصية بنحو المبالغة. ويقول هاشم صالح لبيان مراده من الاسطورة "إن الاسطورة أو التركيب الأسطوري للحكايات ليس وهماً أو خيالاً صرفاً وإنما هو يستند على أساس من الواقع يشبه النواة المركزية المغلفة بغلافات من صنع

الخيال"[٣٥]. إلا أنَّنا نجده يناقض نفسه تماماً عند تحليله للنص القرآني فيفسرها بالمعنى اللغوي نفسه. فمثلاً حين سأله بولكستاين عن صحة خبر زيارة النبي إبراهيم (عليه السلام) لمكة باعتبار أن القرآن يؤكد صحة هذا الخبر، فكان جوابه أنّ هذه المسائل لا يمكن مناقشتها ضمن مناهج البحث النقدي أو التاريخي؛ لأنّ هذا أشد ما يخشاه علماء اللاهوت في جميع الأديان؛ لأنَّهم يخشون انكشاف التناقض بين الحقائق الدينية والحقيقة الواقعية.

اذًا يكشف رد اركون على السؤال أنّه يعد زيارة النبي إبراهيم (عليه السلام) لمكة مخالفة للحقائق التاريخية وأنها خيال أسطوري[٣٦]. فتكون النتيجة المنطقية لهذه الرؤية الأركونية أن مصدر القرآن هو النبي وليس الوحي، فهو بذلك يؤكد ما ذهب اليه المستشرقين من أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) اقتبس من العهد القديم، ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السابقة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم عن طريق ذكر قصص الانبياء لهم[٣٧]. أمَّا قوله بالتداخلية النصية فبناء على مفهوم هذا المصطلح لابد من طرح السؤال الآتي: هل يصح اطلاق التناص على القرآن واثباته فيه أم لا؟

إنَّ مفهوم التداخل النصي السابق الذكر يدل على سمة النقص، فأطلاقها على النتاج الإنساني لا إشكال فيه؛ لأنَّ الإنسان لا يستطيع إنشاء شيء من العدم، أما إطلاقها على النص القرآني الذي مصدره الله تعالى المتصف بالعلم المطلق وبكل صفات الكمال فلا يتصور معه هذا[٣٨]. ناهيك عن سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل البعثة وبعدها، التي تشهد قطعاً على مصدرية القرآن الكريم بأنه وحي من الله، فقد اشتهر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأُميَّته، وأنه لم يعرف الكتابة. وإن التداخل النصي يتطلب عناصر أساسية لابد من توافرها لتكتمل شروط حجة الاقتباس من الكتب السابقة منها: أن لا يكون النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أُميًّا، وإلا كيف يتمكن من الاقتباس؟ لابد من امتلاكه كل الأدوات العلمية التي تمكنه من الاطلاع على الأسفار حتى يقتبس منها، واتصاله

بأهل الكتاب، وكثرة أسفاره، وقد أجمعت كتب السيرة على عدم صدق شيء من هذا على شخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[٣٩]. أمَّا لو كان مقصوده بالتداخلية النصية وحدة المصدر أي أنَّ هذه الكتب المقدسة هي من وحي الله تعالى، فالقرآن يذكرها من باب ذكر الوقائع التاريخية، فيدل على صدق ثبوتها القطعي، فهذا لا إشكال فيه.

لكن من خلال ترجمة هاشم صالح لمراده من التداخلية النصية يعني بها الاستمداد والاستنساخ، فيترتب على قوله بشرية النص القرآني؛ لأنَّ أركون يرى أنَّ سبب إيراد القصص في القرآن تشابه إثارات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع تلك التي أثارها الأنبياء السابقون والمخيال الذي ساد في المنطقة التي بعثوا فيها هو الذي يبلور الاساطير الخاصة بكل فئة أو جماعة "والقصص التي حوتها سورة الكهف مغروسة عميقاً في الذاكرة الجماعية العتيقة للشرق الاوسط"[٤٠]، فكلامه باطل من وجهين:

الوجه الاول: ما جاء به القرآن عن الأمم السابقة جاء مصححاً ومقوماً ومستدركاً، فيكون بمثابة الشاهد على تلك القصص قال تعالى: (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي فيه يختلفون)[٤١]، فلو كانت مستمدة منه لكانت مشابهة له حرفياً.

الوجه الثاني: إن اغلب القصص التي جاء ذكرها في القرآن لاسيما القصة التي استشهد بها أركون في وجود التداخلية النصية بين أهل الكهف المسيحية، وملحمة غلغاميش الآشورية، ورواية الإسكندر الكبير، أي أنها مقتبسة من ثلاث مرجعيات ثقافية قديمة متداخلة مع النص القرآني أو موظفة فيه، فكلامه مردود؛ لأنَّ هذه القصة لم يوردها القرآن ابتداءً، وإنما جاءت ردًا على التحدي الذي وجهه كفار قريش إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بإشارة من اليهود؛ لمعرفة صدق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسؤاله عن أصحاب الكهف وذي القرنين يستفاد من القصة أمران، الأول: أنها لم تكن معروفة لديهم إذ لو كانت من مخيالهم الجمعي –كما يزعم اركون– لقالوا من تراثنا، فلا يقع بها

التحدي، والثاني: كان من بين الجماعة التي وجهت الاسئلة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) النضر بن حارث الذي كان يقول عن القرآن أساطير الأولين فكان حريصاً على أن لا تكون الاسئلة من جنس الأساطير، وعليه فما ذهب إليه أركون من أنّ قصة الكهف مغروسة في الذاكرة الجماعية مردود؛ إذ لو كان صحيحاً لما فكر اليهود من طرح مثل هذه الاسئلة(٤٢).

المبحث الثالث

نموذج تطبيقي قصة الكهف في فكر أركون

تحت عنوان قراءة سورة الكهف يقول أركون: " نلاحظ أن الآيات من ٩ إلى ٢٥ تشكل الوحدة السردية الأولى، وهي الحكاية الشهيرة للسبعة النائمين وتسمى بأهل الكهف، كما نلاحظ أن "أم" وهى أداة انفصال توحى بوجود علاقة مع الجزء السابق من البديل التناوبي المعدوم في الواقع ، ومترجمو القرآن إلى اللغات الأجنبية أهملوا هذه الأداة ولم يأخذوها بعين الاعتبار، كما نقل إلينا، كما يبدو أن نص الحكاية هذه قد تعرض لتحويرات أو تغييرات، كان ريجيس بلاشير قد كشف بوضوح بواسطة التنضيد الطباعي عن نسختين متوازيتين للآيات من ٩ إلى ١٦، يضاف إلى ذلك أن الآية ٢٥ تجد مكانتها بالأحرى بعد الآية ١١ لولا أنها تنتهى بالقافية "عا" هذا في حين أن مجمل الحكاية تشتمل على آيات مقفاة ب "دا" وقد كشفوا في هذه الآية ذاتها عن شذوذ لغوى في كلمة "سنين" الواردة بعد عبارة "ثلاث مائة" بدلاً من سنة ولبثوا في الكهف ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً وهذا ما يجعلنا "نفترض العديد من الفرضيات حول شروط او ظروف تثبيت النص كما يقول بلاشير (٤٣).

ويعلق هاشم صالح على كلام أركون قائلاً: فإلى أي شيء تشير "أم هذه؟ هي عادة تشير إلى التناوب–أو التفضيل– بين شيئين ولكن لا يوجد إلا شيء واحد لا يوجد بديل تناوبي فما معنى هذه ال "أم" إذن؟ ألا يعنى ذلك ان الآيات الأولى مقحمة على السورة وليس لها علاقة بها كما تقول نظرية نولدكة ما لحق من آيات لا علاقة له بما سبق(٤٤).

ويلاحظ على ما ذكر من نقد للسورة ما يأتي:

– محاولته التملص من أي مسئولية أدبية عن الكلام الذى ينقله ويبنى عليه فكراً وأحكاماً فهو يستخدم عبارات: "كما نقل الينا"، "وقد كشفوا في هذه الآية".

– الإشارة إلى وجود قطيعة بين الآيات الثماني الأولى وما تلاها من آيات.

– الإشارة بالقول بأن الآيات موضوعة في غير مكانها.

– وجود شذوذ لغوى في بعض الآيات .

وسنقف على بيان كل مدعى. فأمّا قوله بوجود قطيعة بين الآيات الثماني الأولى والتي تليها، فليس ثمة قطيعة بين الآيات، فالآيتان السابعة والثامنة تتحدثان عن زينة الدنيا والابتلاء والاختبار والآيات التي تليها تواصل الحديث في السياق نفسه، فهو مثل حي واقعي لفتية لم يغتروا بما على الأرض من زينة واختاروا الفرار من الشرك، مفضلين اللجوء إلى الكهف واعتزال المجتمع.

– وأما القول بأن الآية ٢٥ تجد مكانتها بالأحرى بعد الآية ١١ لولا أنها تنتهى بالقافية "عا" هذا في حين أن مجمل الحكاية تشتمل على آيات مقفاة ب "دا" وقد كشفوا في هذه الآية ذاتها عن شذوذ لغوى هو كلمة "سنين" الواردة بعد عبارة "ثلاث مائة" بدلاً من سنة "ولبثوا في الكهف ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا"

– إن مقترح أركون هذا يحدث إرباكاً داخل آيات سورة الكهف، بغض النظر عن القافية "عا" أو "دا" فليس القرآن الكريم قصيدة شعرية وإنما هو كلام رب العالمين.

فالانسجام في قصة أصحاب الكهف واضح جداً، إذ ذكر الفتية أولاً، والكهف ثانياً، والبعث ثالثاً، ثم الاختلاف في عدتهم ومدة مكثهم.

– مما سبق يتضح لنا أن أركون يريد نزع القداسة عن القرآن الكريم واتهامه بالتحريف، والدعوة للتغيير والتبديل على حسب هواه في آيات القرآن الحكيم.

فليس من المقبول أن يكون قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾[٤٥] متبوعاً بقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[٤٦]، فهذا يخل بالمعنى، والسياق، والنظم القرآني، وهذا لا يتقبله عاقل أو متذوق للغة العربية.

– وأما دعواه بوجود شذوذ لغوي في قوله: (سنين) بدلاً من (سنة)، فقد علل اللغويون ذلك، فقالوا: إنَّ سِنينَ إمَّا أن تكون عطف بيان؛ لأنها جاءت جواب لسؤال من قالوا: ثلاث مائة أياماً أو شهورا أو سنين، فقيل: سنين. إذ قال البغويُّ: فإن قيل لِمَ قال: «ثلاثمائة سنين» ولم يقل سنة؟ فالجواب، لمَّا نزل قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ﴾ فقالوا: أيَّاماً، أو شهوراً، أو سنين، فنزلت سنين فتكون عطف بيان، وقيل: بدل، أي أن سنين بدل من العدد ثلاث مائة، فإنَّ قيل: كم لبثوا؟ تقول: سنين. ونقل عن أبي البقاء قال: إنها بدل من «مِئَةٍ»؛ لأنها في معنى الجمع. وقال الفرَّاء: من العرب من يضع «سنين» موضع سنة[٤٧].

وكيف يكون في القرآن كلمة واحدة شاذة ويسكت عنها العرب؟ وقد تحداهم القرآن الكريم بآياته ونظمه وإعجازه فلو وجدوا فيه شذوذاً لما سكتوا عنه. فيتبين من خلال تحليله للسورة أن منهجه ما كان إلا امتداداً للمنهج الاستشراقي، إلا أنه تميَّز عنهم بقدرته العجيبة على التلاعب بالألفاظ.

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة حول "القصة القرآنية في الفكر الحداثي، محمد أركون إنموذجاً" وبناء على ما تم عرضه وتحليله، يكمن أن نقف عند أهم النتائج التي توصل إليها البحث وهي:

١- تعددت وسائل القرآن الكريم في إيصال رسالته إلى الناس وتنوعت أساليبه في اقامة الأدلة والبراهين التي يسوقها لإثبات مقاصده، وكان الأسلوب القصصيّ أحد أهم وسائل القرآن في إيصال

رسالته، فسيقت القصة لتقرر أهدافاً كثيرة وغايات متعددة، فالقصة القرآنية ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه، فهي لم تأتِ للتحدث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وإنما جاءت لتحقق أغراضاً دينية من موعظة وإرشاد واعتبار.

٢- امتازت القصة القرآنية بالواقعية فهي الحق المطلق الذي لا يطوف بحماه طائف من الخيال، فالأحداث المذكورة لها واقعها، والشخصيات التي دارت حولها القصة لها وجود، بخلاف القصص الفني الذي يكون نسج من الخيال.

٣- لا يعد التكرار في القصص القرآني من المآخذ على القرآن، كما زعم المستشرقون، إذ لا يوجد تكرار مطلق وإنما هو نسبي، بمعنى أن الغرض الديني هو الذي يملي إعادة القصة، ولكن هذه الإعادة تلبس أسلوباً جديداً، وتخرج إخراجاً جديداً يناسب السياق الذي وردت فيه، وتسعى إلى تحقيق هدف خاص لم يذكر في مكان آخر، كأننا أمام قصة جديدة لم نسمع مثلها من قبل، فتكرارها لغرض خاص في كل موضع، فتعرض بالقدر الذى يكفي لأداء هذا الغرض

٤- دعا محمد اركون الى تأسيس فهم جديد للقرآن الكريم، يقوم على إحداث القطيعة مع المناهج التراثية الإسلامية؛ لأنها برأيه مناهج دوغمائية جامدة لا يمكن أن نأتي معها بفهم جديد للنص القرآني، وكذلك انتقد المناهج الاستشراقية في فهمها للقرآن الكريم، وبغية التوصل لفهم جديد لكتاب الله العزيز لابد من استخدام المناهج الغربية الحديثة، ولكن عند تتبع منهجه تبين أنه لم يكن إلا امتداداً لمنهج المستشرقين، ولكنه ألبسه ثوب الحداثة.

٥- اتسم منهج أركون بالاضطراب والتناقض فما نجده يؤسس مفهوماً حتى يرجع لينقضه أثناء تحليله للنص القرآني نظير مفهوم الأسطورة التي أعطاها فهماً جديداً مخالفاً لمفهومها القديم الذي يعني الوهم والخيال، ولكن عند تحليله للقصة القرآنية نجده يخالف هذا المفهوم، ليقرر أن القصة القرآنية بنية أسطورية وجميع أحداثها من الخيال.

٦- توصل البحث إلى أنّ مصطلح التداخل النصي لا يمكن أن نطلقه على القرآن الكريم؛ لما يتضمنه

من التأثر والتأثير؛ لأنّه يترتب على ذلك القول ببشرية القران، كما يلزم من القول بهذا نسبة النقص للباري عز وجل تعالى عنه علواً كبيراً، فالإنسان هو الذي لا يستطيع إنشاء شيء من العدم، أما إطلاق ذلك على النص القرآني الذي مصدره الله تعالى المتصف بالعلم المطلق وبكل صفات الكمال فلا. وعليه لا يوجد تداخل نصي في القرآن الكريم. إذًا يحاول أركون عِبرَ القول بالتداخلية النصية أن يرفع التقديس عن القرآن الكريم ويقول ببشريته.

٧- تبين في ضوء ما تمَّ عرضه أن توظيف المناهج الغربية بالطريقة التي انتهجها أركون تؤدي إلى نزع القدسية عن كتاب الله تعالى، وتنتهي إلى بشرية القرآن الكريم، فتبين فساد منهج أركون وعدم صلاحيته لتفسير القرآن الكريم.

الهوامش والمراجع

(١) ينظر: ابن منظور الانصاري، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر بيروت –لبنان، ط٣، مادة (قص): ٧٣/٧-٧٤.

(٢) ينظر: الراغب الاصفهاني، ابو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار القلم، دمشق – بيروت، مادة (قص)، ص٤٠٤.

(٣) ينظر: د. صلاح الخالدي، القصص القرآني، دار القلم، دمشق –سوريا، ١٩٩٨: (٢١/١).

(٤) ابن جزي: أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، ط١، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ ،١ /١٥٢.

(٥) الرازي محمد بن عمر (٦٠٤ه) التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"، دار احياء التراث، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٤١٧/١٨.

(٦) الزبيدي، محمّد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت،١٤٣١هـ، مادة (حدث)،٥ / ٢٠٥-٢٠٦.

(٧) ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ، مادة (حدث)،٣٦/٢ .

(٨) الغزاوي، إيمان أحمد خليل، التوظيف الحداثي لتفسير القرآن الكريم وإشكالياته دراسة تحليلية نقدية، ط١، دار غيداء للنشر والتوزيع ٢٠١٦، ص٢٢

(٩) طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة – مصر،(د.ط)، (د.ت)، ص: ٤٣

(١٠) قاسم عباس لعيبي، نقد القراءات الحداثية القرآنية عند أركون مع التأكيد على الفرق بين القرآن الشفهي والتدويني، اشراف د.محمد حسن زماني واخرون، أطروحة دكتوراه، جامعة المصطفى العالمية، قم – إيران ١٤٣٥ هـ ، ص١١٨.

(١١) السباعي، مريم عبد القادر، القصة في القرآن الكريم، إشراف: أ.د. أحمد أحمد غلوش، أطروحة دكتوراه جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ، ص٤٣.

(١٢) ينظر :القطان، مناع بن خليل (ت١٤٢٠هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،ط٣ ،١٤٢١هـ، ص٣١٧

(١٣) ينظر: د. فاروق محمد عبد الرحمن، القصص القرآني ودفع ما أثير حوله من شبهات، حولية كلية أصول الدين، العدد ٣٣، ٢٠١٤، ص٣٠.

(١٤) اخرجه الترمذي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل القرآن ح:٢٩٠٦ ، ٥/ ١٧٢.

(١٥) سورة القلم :الآية ٣

(١٦) سورة القلم :الآية ١٧

(١٧) الاحماض: من أحمض القوم إذا أفاضوا فيما يؤنسهم، الأزهري، تهذيب اللغة، مادة(حمض) ١٣٢/٤.

(١٨) سورة يوسف: الآية ٢٥

(١٩) قاسم عباس لعبي، نقد القراءات الحداثية القرآنية عند أركون مع التأكيد على الفرق بين القرآن الشفهي والتدويني، ص٦٧.

(٢٠) ينظر: د. فاروق محمد القصص القرآني ودفع ما يثير حوله من شبهات، ص٤٧.

(٢١) سورة المائدة: الآية ٤٨

(٢٢) ينظر: المحقق جعفر السبحاني، القصص القرآنية دراسة ومعطيات واهداف، مؤسسة الإمام الصادق، قم المقدسة –إيران، ط١، ١٤٢٧هـ، ص١٧.

(٢٣) ينظر: زرزور عدنان محمد: علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الأعلام، عمان-الأردن، ٢٠٠٥م، ص٦٦٦.

(٢٤) حسن حنفي، تأويل الظاهريات الحالة الراهنة لمنهج الظاهراتي وتطبيقه في الظاهرة الدينية، ط١، مكتبة النافذة، سنة ٢٠٠٦م، ص٣٨٤.

(٢٥) محمد أركون، مجلة الثقافة الجديدة، العدد٢٦,٢٧،١٩٨٣، ص٣٥.

(٢٦) محمد بن سعيد السرحاني، الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم،(د.ط)،(د.ت)ص٩.

(٢٧) ينظر: د. قاسم عباس لعيبي، نقد القراءات الحداثية القرآنية عند أركون مع التأكيد على الفرق بين القران الشفهي والتدويني، ص٩-١٠.

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٠٠-٢١١.

(٢٩) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: مركز الإنماء القومي، بيروت، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦م،٢١٠.

(٣٠) المصدر نفسه، ٢٩٩.

(٣١) محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦، ص١٩١.

(٣٢) محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، ص٣٠.

(٣٣) المصدر نفسه، ص٤٠.

(٣٤) المصدر نفسه، ص٤٠.

(٣٥) محمد اركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص١٢٥ الهامش.

(٣٦) ينظر: د. قاسم عباس لعيبي، نقد القراءات الحداثية القرآنية عند اركون مع التاكيد على الفرق بين القران الشفهي والتدويني، ص٦٧-٦٩.

(٣٧) ينظر: جولد تزيهر، ايجناس، العقيدة والشريعة في الاسلام، نقله للعربية محمد يوسف وآخرون، الجزيرة –القاهرة – مصر، ٢٠١٣، (د.ط)، ١٥.

(٣٨) ينظر: محمد محمود عبد الله المحمود، دعوى التداخل النصي في قصص سورة الكهف عند أركون، رسالة ماجستير، إشراف د. محمد عبد اللطيف جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، ٢٠١٧، ١٠٥.

(٣٩) ينظر: المصدر نفسه، ص١٦٣.

(٤٠) محمد أركون، القرآن من التفسير الموروث الى تحليل الخطاب الديني، ص١٥١.

(٤١) سورة النمل: الآية ٧٦.

(٤٢) محمد محمود عبد الله المحمود، دعوى التداخل النصي في قصص سورة الكهف عند أركون، ٩٩-١٠٦.

(٤٣) محمد أركون ، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدينى، ص ١٤٨.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

(٤٥) سورة الكهف الآية ٢٤

(٤٦) سورة الكهف الآية ٢٦

(٤٧) ينظر: النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود واخرون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط:١، ١٤١٩هـ ،٢٠ /٤٦٣.